بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغلنى موضوع الأمثال منذ منتصف الستينات، وكانت البداية عندما كنت جالسا مع الاستاذ فوزى العنتيل ـ رحمه الله ـ اناقش فى موضوع للدراسات العليا وابديت رغبتى فى الدراسة الشعبية وطلبت مساعدته فى اختيار الموضوع باعتبار انه كان من أوائل المختصين بالدرسات الشعبية وله دراسات رائدة فى الفلولكلور. فاقترح على أن أجمع الامثال الشعبية وأن أهتم بدراستها فهى موضوع بكر من جانبيه الميدانى والعلمى.

ومنذ هذا اللقاء وأنا معنى بهذا الموضوع، وبعد أن انتهيت من موضوع الماجستير وكان بعنوان «الأمثال الشعبية فى مصر» وجدت أن الموضوع اكبر وأوسع من دراسة أو حتى عدة دراسات واكتشفت انى لم اراوح مكانى إلا قليلا، ولم تكن هذه الدراسة [1] إلا مجرد تعرف على الموضوع أو محاولة للإقتراب. وفى المرحلة التالية من الدراسات الأكاديمية رأيت أن أوسع دائرة التعرف باجراء دراسة مقارنة بين الأمثال الشعبية فى العالم العربى وحاولات أن أناقش بعض الزملاء ممن سبقونى فى الخبرة ومنهم الصديق الشاعر الأستاذ الدكتور كمال نشأت ـ امد الله فى عمره ـ فنبه إلى صعوبة الموضوع وأشار إلى أهمية التعرف المباشر على المجتمعات العربية فضلا عن افتقار المكتبة العربية الى مجموعات الأمثال الشعبية فى الأوطان العربية وهى صعوبة لا أقدر عليها، واقترح على أن افتح مجالا جديدا فى الدراسات الشعبية وهى حقل بكر، فابتعدت عن الموضوع ولكن بقى الهاجس الذى يحركنى بين الحين والآخر حتى أننى عندما مارست التدريس فى جامعة الجزائر تحرك داخلى الحنين لموضوع الأمثال خاصة وأن الأمثال عند

(١) نشرت هذه الدراسة بعنوان «الشعب المصرى فى أمثاله العامية» فى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ وقد اعتمدت هذه الدراسة على نصوص الكتاب الأول من الموسوعة الذي صدر ١٩٩٢م. عن دار المعارف.

الجزائريين لا تقل أهمية عن الأمثال عند المصريين، بل وجدت أن هناك سمات مشتركة كثيرة بين الأمثال فى القطرين رغم بعدهما المكانى، وتوفر لدى عدة آلاف من الأمثال الجزائرية لم تجد حتى الآن منفذا للنشر لا فى الجزائر ولا فى غيرها، ونشرت بحثا عن «الأسرة فى المثل الشعبى الجزائرى» فى مجلة التراث الشعبى العراقية ضمنته أكثر من اربعمائة مثل عن الأسرة الجزائرية، وعندما رجعت الى مصر ١٩٨٧م ترجمت كتابا فى الأمثال لجون لويس بوكهارت وهو عبارة عن مجموعة أمثال شعبية مصرية من العصور الوسطى نشرها بوركهارت فى لندن فى اوائل القرن التاسع عشر، ونشرت هذه النسخة مترجمة فى هيئة الكتاب ١٩٨٩ ضمن سلسلة «الألف كتاب» الثانية تحت عنوان «العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية فى عهد محمد على»، وأخيرا ـ وليس آخرا ـ نشرت الكتاب الأول ـ من موسوعة الأمثال الشعبية المصرية ـ بدار المعارف ١٩٩٢.

والحقيقة انى لم انشغل بهذه النصوص وحدى ولكنى شغلت بعض أهلى ومعارفى فى كل مكان حتى أصبحت هذه النصوص شغلى الشاغل، واستنفزت حواسى لكل التعبيرات السائرة هنا وهناك وهى تعبيرات تعوم فى بحر الحياة الصاخب نعايشها وتعايشنا كانفاسنا التى لا تتوقف أو تهدأ إلا بالموت. وكلما توغلت فى الجمع والمعايشة كلما تبين أنى أدخل الى اعماق الشخصية المصرية وعوالمها غير المرئية. هذه الشخصية التى ظلمت نفسها بنفسها قبل ان يظلمها الغير وقصَّر أبناؤها فى حقها قبل أن يقصر الغير، وتكالبت الظروف الداخلية ـ الإستبداد الذى امتد قرونا ـ والظروف الخارجية التى تخاف انطلاقها وتعمل بإستمرار على تحجميها لتدفع بهذه الشخصية إلى دوامة الرؤية الضبابية وعدم وضوح الطريق الصحيح وافتقاد الوسيلة المثلى للأنطلاق رغم ما لديها من الجهد الوافر والصبر العظيم «صبر ايوب» والنقاعة بالقليل والوسطية الأنسانية التى تكره الجموح والتهور وتمارس الطيبه والتسامح وسرعة الأئتلاف والتآلف، وهذه يمكن أن تكون منصات انطلاق وتقدم اذا توافرت الظروف المناسبة واللحن المناسب.

ونحن نعتقد أن ما نراه من سلبيات أنما هى بعيدة عن اساسيات وجوهر

الشخصية المصرية وهى اشبه ما تكون بحصى وزلط ودبش يملأ الطريق ويعوق السرعة أو الانطلاق وسوف نتحدث عن ذلك بشئ من التفصيل فى كتاب مستقل.

منهج الجمع:

هذه السلسلة تعتمد على الكثرة النصية ولكنها لا تصنف بالضرورة تحت سلسلة المعاجم لأن المعاجم تهتم أساسا باللغويات وما يتعلق بها من أصوات واشتقاقات وتهتم بالكلمة المفردة كوحدة قائمة، كما أن المعاجم تعتمد فى الجانب التنظيمى أو التصنيفى على الترتيب المعجمى وهو الترتيب الآلف بائى أو الهجائى ولا تعنى بالترتيب الموضوعى.

ومن هنا فان المعاجم اللغوية تختلف عن سلسلة الأمثال هذه، ذلك أن هذه السلسة تهتم بالجانب الموضوعى أو الظواهر المباشرة مما يستوجب بعض الشروح والتعليقات الضرورية التى تلقى ضوءا إجتماعيا أو تاريخيا أو علميا على بعض الجوانب فى النص. وفى هذا فالمعروف أن المستشرقين الذين اهتموا بموضوع الأمثال المصرية منذ القرن التاسع عشر ـ قد التقطوها فى عجالة وفسروها بمنظور اجنبى وحكموا على المجتمع بمعاييرا أجنبية، وهم فى كل الأحوال معذورون لان أغلبهم رحالة يحل أحدهم ضيفا على مصر فترة من الوقت ثم يعود من حيث اتى ومعه بعض الأمثال التى تيسرت له من هنا ومن هناك وكلها تقريبا من القاهرة مما لا يمكن أن يعطى صورة واضحة عن طبيعة المجتمع، أو أن منهم من أقام فى مصر إقامة طويلة نوعا ما ولكن بخليفة ثقافية مختلفة ـ، كما إنه لم يغادر القاهرة إلى الريف.

ولا شك أن كل المجاميع السابقة حتى الأن تعد هزيلة بالنسبة إلى المجتمع المصرى العريق، ولعل أكبر مجموعة مثلية ظهرت حتى الأن هى مجموعة تيمور التى تعدت حاجز الثلاثة آلاف ولكنها ليست شعبية بالمفهوم العلمى للشعبية[1] فهى اختيارات منقحة ـ إن صح هذا التعبير ـ من مجموعات سابقة.

ولا شك أن هذه الشروح التى صاحبت امثال هذا الكتاب قد أتت بتفاصيل أما علمية أو أن المؤلف قد عايشها أو مرت به بطريقة مباشرة فى مراحل حياته

(١) اشرت الى ذلك فى الكتاب الأول الذى صدر عام ١٩٩٢ ـ دار المعارف.

الباكرة، ولذلك فقد تكون غريبه على شباب اليوم أو أبناء المدن الكبرى الذين ليس لهم علاقه بالقرى أو الحياة الريفية، ولا ابالغ إذا قلت أن بعض هذه الأمثال قد تكون غريبة أيضا على أبناء المدن الريفية المتوسطة لأن الظروف الإجتماعية قد أصابها تغير وحدثت تفاعلات سريعة فى الأربعين سنه الماضية وهو تغير اعتقد إنه لم يصل بعد الى جوهر الشخصية.

وعلى سبيل المثال فإن شباب اليوم من أهل القرى نفسها وخاصة تلك القرى القريبه من المراكز الحضرية لا يعرفون شيئا عن تذرية القمح بالمذارة و الذى كان يستغرق أكثر من شهر فى بعض الأحيان فيتحول «المذرى»[1] بمذارته فى الإتجاه المناسب للريح وقد يتوقف إذا لم يكن هناك ريح وإذا كان الحال هكذا بالنسبة لأبناء القرى فكيف يكون الحال مع أبناء المدن؟.

وشباب اليوم لا يعرفون «الجساس» فهو شخص خبير فى معرفة هل الجاموسة أو البقرة «عشر» (حامل) أم لا، إذ يقوم الجساس بدفع يده داخل الجاموسة من حتى تصل إلى مكان النطفة وفى بعض الأحيان قد يخرج النطفة ويهيىء مكانها ويعيدها وذلك إذا كانت الجاموسة لا تمسك التلقيح. وشباب اليوم لا يعرفون «الجل» الذى يوضع على ظهر الجمل (بكسر الجيم) وهو قماش من (الفل) «بفتح الفاء» السميك لتغطيه وليكون صالحا لحمل الأدوات الريفية، وشباب اليوم لا يعرفون «السلآنية» «وهى» «عدة» يقوم بصنعها أناس متخصصون توضع على ظهر الجمل لتناسب بعض الأحمال كالقطن والقش، والشباب لا يعرفون أيضا «الشقرف» بشدة مضمومه على الشين وهو سلاح يشبه السكين ولكنه معقوف بزاوية وسنه الحاد من الخارج يستخدمه زارع الخضروات لتقليب التربة بجانب الجذور أو لجمع بعض الخضروات أو لزراعها، كما إنهم لا يعرفون «الغبيط» ولا «البرده» بضم الباء ولا «الجنابية» بشدة مفتوحة على النون ولا «الديارة» ولا «السلبة» ولا السَبله[2] وهذه كلها اشياء ريفيه يستخدمها الفلاح وتعيش معه ويعرفها ابناء الريف.

(١) شخص يحترف هذه المهنه الموسميه ويمارس اعمالا اخرى باقى العام ولديه عدة كاملة للتذرية كالديارة وانواع مختلفة من الذرايات . .الخ. .

(٢) السلبة: بشده على السين وهى الحبل الغليظ، والسبلة بشده على السين وسكون الباء وهي روث الخيل مخلوط بقش الأرز خلطا خفيفا.

وهذه الشروح التى أوردتها مع النصوص تعنى تاريخيه النصوص وتواصل الأعراف من حيث القيم بصرف النظر عن الجانب الحرفى.

ويلاحظ إننا قد اوردنا فى بعض الأحيان اكثر من نص للمثل الواحد ـ وهى عموما نسبه ضئيله جدا ـ ولكنها تضع أمام القارئ نواحى التطور أو التغيير اللغوى وارتباطه بالزمان أو المكان ويمكن للباحث أن يتوسع فى رصد وجمع هذه التغييرات اللغوية فى بحث مستقل.

وفى هذا المجال فقد وضعت نصب عينى الإهتمام بالجمع الميدانى المباشر ـ لا التهافت على فتات الغير مما هو موجود فى الكتب ـ وهذا الجمع يجرى فى نطاق حركتى وإمكاناتى الإجتماعية وساعد على ذلك اقترابى الشديد من الطبقتين الدنيا والوسطى وانتمائى لمدينة زفتى وهى تتوسط ـ تماما ـ الوجه البحرى بكامله، ولذلك فيمكن القول أنها استقطبت كافة التعبيرات والأفكار بعد تصفيه شوائب اطراف الدلتا وهى لذلك يمكن أن تدل دلاله صادقة على ريف الوجه البحرى بجانبيه المدنى والريفى بعكس ريف الأطراف الذى قد يعبر عن ظاهرة معينه أو قد يخضع لبعض التأثيرات الخاصة كالظروف الصحراوية أو الأجنبية فإذا قلنا أن الوجه البحرى ومعه القاهرة يصل تعداد هما إلى أكثر من أربعين مليونا سنة ١٩٩٢م. فمعنى ذلك أن هذه الأمثال تمثل أغلب سكان مصر أو كل سكان مصر مع إفتراض إنتشارها أيضا فى صعيد مصر.

ومع أن أساس الجمع منطقة زفتى إلا أننى أخذت أيضا من الأفلام القديمة حيث شاعت الأمثال على السنة الممثلات فى الادوار الشعبية كالسيدة مارى منيب والسيدة زينات صدقى وغيرهما وأيضا الممثلين ولكن بقدر أقل، هذا بالأضافة الى عناصر الجمع الأخرى التى تقيم إقامه دائمه فى أماكن الجمع واستطاعت أن تزودنى بالكثير من النصوص وبتفسيرات لا يعرفها إلا الذين يعيشون فى بيئة المثل.

إن معرفة روح النص ودوافعه قد تكون فى بعض الأحيان أهم كثيرا فى معرفة التيارات غير المرئيه، فنسبه كبيرة من هذه النصوص لا يمكن معرفتها خارج المنطقة الشائعة فيها وبذلك تفقد مضربها، ومن ثم فإنها تفسير ظاهريا، ولهذا فقد ذكرنا فى بعض الأحيان ـ أكثر من تفسير للنص الواحد وخاصه إذا ابتعد عن منطقته.

فالمثل الذى يقول: إن خدت من الكلب صوف تأخذ من المنوفى معروف» فكلمة المنوفى هنا قد تعنى ابن مدينة منوف وهى إحدى مراكز محافظة المنوفية وقد تعنى ابن محافظة المنوفية على الأطلاق وهذا ما كنت أعرفه حتى وقت قريب. والمثل هنا يحمل ثلاثة تفسيرات هى:-

الأول: وهو ما يشيع فى المنطقة حول مدينة منوف فالمنوفى هنا هو ساكن مدينة منوف. فقد فسر لى أحد الزملاء من ساكنى قرية الحامول مركز منوف هذا المثل بقوله إن أبناء القرى المحيطة بمدينة منوف عندما ينزل عليهم ابن المدينه يقدمون له كل ألوان الضيافه والترحيب أما عندما ينزل عليهم ابن الريف للتسويق وقضاء المصالح فانه لا يقابلهم بمثل ما يقدمون، وهذا السلوك من الأخلاق المعيبة التى ينفر منها ابن الريف بجوار مدينة منوف.

الثانى: وهو ما يشيع خارج محافظة المنوفيه فالمنوفى هو ساكن محافظة المنوفيه على الأطلاق.

الثالث: وهو من تفسير احد أبناء المنوفيه فيقول أن المنوفى حريص ولا يمكن الضحك عليه أو التغرير به، ويقولون أن هناك أسبابا إجتماعيه وإقتصاديه دفعت ابن المنوفيه إلى هذا الحرص الشديد منها إن محافظة المنوفية من المحافظات الصغيرة المحصورة فى مثلث صغير داخل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد وهى مكتظة بالسكان لخصوبة أرضها ومن ثم فقد اضطروا للهجرة إلى المحافظات القريبة وعلى الخصوص القاهرة، والغريب بشكل عام لابد أن يكون حريصا فى تعاملاته فى مجتمع المهجر حذرا فى غربته حتى يستطيع أن يحمى نفسه من مفاجآت الغربة، ولا يمكن أن نفهم هذا المثل إلا من خلال هذه القضايا الإجتماعية، والغريب عن هذه المحافظه لا يستطيع أن يدرك تلك القضايا أو يفهم المغزى وراء النص.

وفى هذا المعنى المثل الذى يقول «الفلفل بالوقيه والجير بالقنطار» فإن النظرة الظاهرية تقول أن المثل يرتبط بالعملية التجارية فالفلفل ـ أسود اللون ـ يباع بالاوقيه بينما الجير ـ شاهق البياض ـ فأنه يباع بالقنطار [1] والمعنى من هذا المثل ـ

(١) القنطار من الموازين التى الغى استعمالها منذ أربعين عاما وهو يساوى ٤٥ كيلو جرام تقريبا وايضا الاوقية فقد الغى استعمالها فى هذا التاريخ وهى تساوى ٢٧/١ من الكيلو جرام.

ظاهريا ـ هو التفرقة بين الكم والكيف، ولكننا إذا دخلنا إلى عالم المرأة فانها تفسره من وجهة نظر جماليه أى أنه يعنى تفضيل السمار على البياض. وهناك مجموعات لا باس بها تسير فى هذا الإتجاه ولا تفصح عن مغزاها إلا بين طائفة معينه حتى ليمكن أن يقال انها أقرب إلى الفوازير أو الألغاز، فالأمثال «العين فى المحيط والجلة فى الغيط»، «كل جرن وله قصلة»، «المدفونة تكسر المحرات»، «اللى قبلنا قال البركة فى الحبتين»، «صيف يا لبن حليب ياقشطه»، «لولا الجرب لضرب بالقلة»، وكلها لا يمكن تفسيرها إلا فى بيئاتها الأصلية.

* * * * *

التويب والتصنيف:

نعتقد أن أساس التصنيف هو تحاشى الجمود أو القواعد الجاهزة لأن ما ينطبق على نصوص معينه قد لا يصلح لغيرها ، وما يتفق مع موضوعات بعينها قد لا يتوافق مع غيرها، ولذلك فإن المرونة واختيار الأسلوب المناسب تبعا لاتجاهات النصوص هو القاعدة التى طبقتها مع هذه النصوص، وقد حاولت ـ بقدر الإمكان ـ أن تتجاور الموضوعات المتقاربة مع العلم بإن هناك عناصر أخرى قد تتدخل فى التبويب مثل كمية الأمثال ومادتها ومضمونها وهدفها ونوعية المادة.. الخ فالمثل يحمل ثلاثة عناصر كل منها يمكن أن يتدخل فى التصنيف:

أحدهما: المضمون أو المحتوى الفكرى.

الثانى : الهدف

والثالث: الشكل الذى يظهر عليه المثل أو العنى الظاهرى.

ومن ناحية أخرى يمكن القول ان هناك فرقا بين العلاقات الشخصية والعلاقات الإجتماعية، **فالأولى** هى علاقات فرديه أولا وقد تكون ذات خصوصية طائفيه أو قرابيه ـ إن صح هذا التعبير ـ أو مهنية أو إجتماعية أو سنيه أونوعيه (ذكر ـ انثى) وهى فى كل الأحوال تعبير عن جزئيه اجتماعيه ضمن البناء الإجتماعى الكبير.

بينما نجد أن العلاقات الإجتماعية تحكمها قضايا عامة وضوابط إجتماعيه على نطاق أوسع تدخل فيها العادات والتقاليد والقوانين وهذه وتلك يمكن أن يؤثر بشكل آو بآخر على التصنيف.

ولهذا فإننا نرى أن المادة هى التى تفرض إتجاه التصنيف.

وعلى سبيل المثال النظرى:-

* لو توفرت لدى الجامع مجموعة من الأمثال التى استخدمت الحيوان كثيرا هل من الأفضل أن تصنف هذه المجموعه طبقا لذلك: فالحيوان هنا لا يأتى لذاته ولكنه يرمز لإتجاه معين فى البيئة أو المجتمع.
* لو اننا جمعنا أمثالا من بيئات حرفيه. هل من الأفضل التويب الحرفى أولا ثم ننظر بعد ذلك فى المضمون أو الهدف؟ بمعنى أن الحرفة هى التى أوجدت الأخلاقيات المرتبطة بها وليست الأخلاق هى التى اوجدت الحرفة
* لوأننا جمعنا نصوصا من مجتمع متباعد الأطراف وتلعب فيه الجغرافيا دورا مؤثرا انعكس على النصوص. هل من الأفضل التصنيف تبعا لذلك على طريقة الأطالس والخرئط؟

فاذا رجعنا الى المجتمع المصرى وجدنا أنه مجتمع عبارة عن كتلة سكانية واحدة موضوعه فى عامود جغرافى ممتد من الإسكندرية إلى أسوان محصور شرقا وغربا بالصحراء فضلا عن انه فى جوهره، مجتمع زراعى تقليدى حتى وقت قريب ونعتقد ان التصنيف المناسب هو الذى يهتم بالمجتمع الذى يتكون من مدينة سكانية تعدادها ٦٠ مليونا أو حتى قرية سكانية تحتوى هذا الكم السكانى.

وفى هذا المجال فقد مررنا بعدة تصنيفات اسقطنا خلالها عناوين واستحدثنا أخرى ودمجنا بعضها فى البعض الآخر، وانتقلنا من العناوين الفرعية إلى توليد عناوين كبيرة، ومنها إلى تكوين رؤوس موضوعات مستمدة من إتجاه المجموعة نفسها، ومنها انتقلنا إلى تكوين موضوعات متجاورة تحت عنوان أكبر مع مراعاة تناسق التصنيف الداخلى مع رؤوس الموضوعات. وهو نفس المنهج الذى سار عليه الكتاب الأول.

ومع ذلك فإن القارئ قد يلاحظ قدرا من التغيير فى بعض العناوين مع عناوين الكتاب الأول سواء بالنسبة للفرعيات أو رؤوس الموضوعات أو المجموعات وهذا يتفق مع منهج المرونة التى تتفق مع إتجاهات النصوص، ومع ذلك فإن كل النصوص التى توفر لدينا جمعها حتى الآن تبرز المجتمع كوحدة أو كتلة سكانية واحدة تنطلق من اشعاع روحى واحد.

* * * * *

لقد صدر الكتاب الأول من هذه السلسلة عاريا من الشروح الضرورية إلا من تعليق هنا أو أشارة هناك، وكنت قد ذيلتها بشروح مناسبه ولكن أحد اساتذتى الأجلاء أشار على بالاكتفاء بالنصوص، وبعد صدور الكتاب نبهنى القراء الأفاضل ـ مشكورين ـ إلى ضرورة وأهمية هذه الشروح وقد تفهمت الدوافع وقد أشرت فى سطور سابقة إلى ذلك.

إن هذه الشروح لا يمكن أن تغنى عن الدراسات المستقلة والتى يجب أن تواكب نشر هذه النصوص ذلك أن الشخصيه المصرية لا يمكن أن تفصح عن مكنوناتها بقدر الوضوح الموجود فى هذه النصوص السائرة ـ ونعتقد أنه لا يوجد نصوص قولية تستطيع أن تكشف ضمير الشعب المصرى بمثل كفاءة وقدرة هذه الأمثال السائرة أو الهائمة يوميا وفى كل مكان.

ولا نبالغ إذا قلنا لو أن العلماء ـ كل فى أختصاصه ـ علق على كل مثل فى هذه السلسلة بعد ان تكتمل، نقول علق بصفحتين اثنتين فقط لتوفر لدينا عشرات الآلاف من الصفحات، أننا بذلك نكون قد قدمنا «مصر» كما هى أو أن مصر تكون قد قدمت نفسها بنفسها فى فترة زمنية معينه، وأيضا فإن الوقوف عند نوعيه معينه من الأمثال يمكن ان تكون محور دراسات مستقلة أو يمكن أن تكون مفاتيح لإتجاهات الناس بالنسبة للمحيط.

إننا ونحن نتعامل مع هذه الأمثال إنما نهتم بالدلالات والإشارات، فالدلالات قد تكون بالكلمة أو بالتعبير أو بالمضمون أو بما وراء المضمون أو بالهدف. .الخ ونحن لا نستطيع أن ننكر صدق هذه الدلالات بعد فترة طويله نسبيا.

فالمجتمع المصرى من المجتمعات القديمة ذات التقاليد الراسخة ودرجة التغيير بطيئة رغم ما قد يبدو على السطح. ولذلك فإن الدلالات أقرب ما تكون إلى الصدق والواقع والحقيقة، وهذا ما يجعلنا نلجأ الى الكلمة أو الخاطرة أو المضمون فى محاولة اكتشاف هذه النصوص، أن هذه المعرفه يمكن أن تساعد على معرفة النسق القيمى الذى يتدفق فى عروق حركة الإنسان المصرى فى كل الإتجاهات والنشاطات ويوجه رؤيته الدنيوية والأخروية. ففى داخل كل منا نسبة من التقليدية يشترك فى ذلك ساكنوا القصور مع ساكنى الجحور مع الأميين. لقد

حدثنى استاذى د. عبد الحميد يونس أن أستاذه الشيخ أمين الخولى ـ عليهما رحمة الله ـ قال لأحد زملائه من كبار مفكرى مصر وقد أستبدل الزى الأزهرى بالزى الأوربى ـ إنك فلاح مصرى فى ثياب أوربية وقد أصاب بذلك كبد الحقيقه. فنحن فلاحون فى ثياب مدنية، أو نحن تقليديون رغم مارستنا الحضارية أو تعاملاتنا الحضارية مع أحدث ما ابدعته الحضارة.

هذا وقد ظهرت التعليقات على الشكل الاتى:ـ

ـ التعليق اللغوى وشرح الكلمات العامية.

ـ المقابلة بين صياغة المثل ومثيلاتها فى النصوص وقد يتخلل ذلك الأشارة إلى انتقال المثل إلى الأندماج فى الأغانى.

ـ التعليق العلمى ويعتمد على الأراء المختلفه للنص من أصحاب الأختصاص أو الربط بين الرؤية المثليه والرؤية العلمية، وفى كل الأحوال نجد أن العلماء يؤكدون الرؤية المثلية بالحقيقة العلمية.

ـ الربط بين المثل والمشابه التاريخى أو الشعرى.

ـ الربط بين المثل والبيئه إجتماعيا وجغرافيا.

ـ شرح المصطلحات المحلية التى قد تخفى على القارئ.

والهدف من هذه التعليقات هو تأكيد دور المثل فى تيار الإيقاع الحياتى اليومى، وسوف يلاحظ القارئ إننا أفدنا من الصحافة فى إضافة معلومات الى الشروح والتعليقات وهذا طبيعى وضرورى.. فالحقيقة أن بعض هذه الأمثال مأخوذ من الصحف وتصاحبها بإستمرار التعليقات والشروح، فقد تجد مثلا فى عامود من الأعمدة اليومية ومعه تعليق من الكاتب أو فى اليوميات أو فى التحقيقات، وفى كل هذه الأحوال تجد أن الصحفيين ينظرون إلى النص المثلى بإحترام وتقدير، وهذا ما يؤكد أحد الأدوار الوظيفيه للنص ضمن الإيقاع الإعلامى أو الثقافى اليومى كما هو حاصل على المستوى الشعبى، مما يعنى أن دور المثل يمتد ليشمل كل طوائف الشعب لا فرق بين فرد على قمة الهرم الثقافى وآخر لا يعرف كما يقال: «الألف من الكوز الدرة».

فالكل يردد هذه الأمثال والكل يعلق عيها والكل يعرضها من زاويته الخاصة والصحفيون يدمجون هذه النصوص كتاباتهم وتحقيقاتهم كما لو كانت سائرة ضمن

الحديث الشفاهى المباشر بين شخصين أو مجموعة اشخاص. ولذلك اطلق العلماء عليها» الأمثال السائرة» ويطلق عليها الأنجليز

. Emglish Sayings, Current Sayings

* * * * *

لا شك أن هذه الأمثال تدور حول موضوع واحد هو «الشعب المصرى» بكل فئاته وعناصره دون استثناء. ولما كانت الأمثال ـ كما يقول أحد العلماء ـ هى «عملة الشعب اليومية» ولذلك فإن موضوعات الحياة اليومية للناس هى محور الإرتكاز، وسوف نجد أن الأمثال تهتم على ـ وجه الخصوص ـ بتلك النشاطات الشعبية الشائعة فى الريف والأحياء الشعبية كالتجارة الصغيرة «تجارة التجزئه»، وترصد حركة البيع والشراء وما يرتبط بها، وأيضا الحرف الشعبيه كالنجار والحداد والخياط والبناء والطحان والحلاق والمراكبى وبائع الترمس والفواخرى والخاطبه والقرداتى والجاوى، أما الفلاحة التى ترصدها الأمثال فهى الفلاحة التقليدية وما يرتبط بها من عناصر ضرورية كالمحراث والحيوانات الريفية وايضا المنزل الريفى وأدواته، كما رصدت الامثال علمية تناول الطعام وهى عملية يومية يمارسها الإنسان فى كل فترات اليوم.

أما العدد الأكبر من هذ المجموعة فيدور حول: العلاقات الإجتماعية والعلاقات الشخصية، والأسرة المصرية بكل عناصرها وهذه المحاوور الثلاث تستوعب أكثر من نصف أمثال هذه المجموعة.

وقد يتساءل أحدنا: ما علاقة هذه النصوص التى تصور الحياة التقليدية بما هو قائم الآن من نشاط حضارى ضخم يتمثل فى مصانع ضخمة تدور باحدث ما انتجته الوسائل الحضارية الحديثة، وتجارات ضخمة تتمثل فى الإستيراد والتصدير وجهاز ادراى معقد يتفق مع الإيقاع الحضارى السريع وزراعات ضخمه شاملة تدار بالوسائل الحضارية الحديثة وهى تختلف تماما عن تلك الحياة التقليدية التى يمارسها الخياط والطحان والحاوى والخاطبه والحداد والسمكرى... الخ؟.

وهل يليق ـ مع مراحل الإنطلاق الحضارى الذى نخوضه ونسارع الخطى للحاق بالدول المتقدمة ـ أن نصرف إهتماماتنا إلى هذه النشاطات؟ ثم أليس من الأفضل أن نترك هذه الحرف لتنقرض فى هدوء وتختفى أمام حركة التطور المتسارعة؟

وعلى هذه التساؤلات وغيرها نقول:ـ

* أن هذه الحياة التقليدية لها دور فاعل وخطير فى الحياة فى الريف المصرى من اقصاه إلى اقصاه وفى الأحياء الشعبية فى كل المدن، وهذه الحياة التقليدية هى حياة الغالبية بين أفراد الشعب المصرى وهى التى تؤثر فيها إيقاع الحياة اليومية إيجابا وسلبا ويكفى أن نقول أن ما أحدثه بعض المتطرفين فى هذة الأيام [نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٢] من إفساد للموارد السياحية وأيضا البلطجيه الذين يضربون هنا وهناك حتى جعلوا الدولة بكل أجهزتها فى حاله إستنفار، نقول أن هؤلاء قد خرجوا من أصلاب وارحام الطبقات الشعبية.

* أن من حق هؤلاء الناس علينا أن نأخذ بيدهم ونقطة البداية ـ فى إعتقادى ـ هى معرفة ثقافاتهم والإقتراب مما يدور فى دواخلهم ومعايشتهم بحيث يمكن أن نشدهم بعيدا عن مهاوى الجهل ونسلكهم فى إيقاع التحديث والتطوير الثقافى.

* أن هذه النصوص تمثل الحياة الشعبية فى مرحلة زمنية معينه ـ ولاشك أن بعضا من الحرف فى طريقها إلى الزوال كالخطابة والفرداتى والحاوى وغيرها ومن الضرورى الإسراع بالتسجيل والتوثيق وإلا فقدنا معرفه البشاط البشرى للطبقات الشعبية فى هذه الفترة.

* إن الأهمية التى يجب أن نوليها لهذه النصوص تتمثل فى تلك القيم المصاحبة لهذه النشاطات التقليدية، وهذه القيم تعيش فينا ونحن تعيش بها وكل منا فردا أو جماعة يحاول أن يوفق بينها وبين الماديات التى فرضتها القيم الحضارية الجديدة، وهذا التوفيق يشغل ـ فى واقع الأمر ـ كثيرا من وقتنا، وهى قيم تدخل ضمن ما يشاع عن الأصالة والمعاصرة التى مازلنا نعانيها منذ بداية الأحتكاك بالحضارة الحديثه فى بداية القرن الماضى حتى اليوم.

* علينا أنَ نعرف أن الشرائح التى سلكت سلوكا حضاريا وهم المثقفون ورجال الأعمال وكبار الموظفين فى الدولة وقيادات العمل الحضارى كل هؤلاء لم يبتعدوا عن جذورهم بل إنهم يتناولون هذه الحضارة ويتعاملون مع عناصرها بأسلوب الفلاحين والحرفيين سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا وهو واقع حياتى يمكن بشئ من التدقيق ان نلحظه فى سلوكنا.

* * * * *

وبعد فان هذا الجزء من الموسوعة فى حاجة إلى دراسة مستقلة وقد قمنا باعدادها وهى فى طريقها الى النشر وتعد إمتداد للكتاب الذى صدر منذ أكثر من عشرين عاما «الشعب المصرى فى امثاله العامية» وهى ليست تكرار له ولكنها تعتمد على نصوص هذا الجزء فقط دون غيرها. وأخيرا فارجو ان يلقى هذا الكتاب ما لقيه الكتاب الأول من الموسوعة من حفاوة وإهتمام وأرجوا أن أكون قد وفقنى الله سبحانه وتعالى إلى تقديم الشروح المناسبة.

«وفقنا الله لخدمة مصرنا الحبيبة»

دكتور

ابراهيم احمد شعلان

أستاذ الأدب الشعبى بجامعة الجزائر سابقا